الفصل الثالث

نتائج الدعم المصري للقضايا التحررية المغاربية

- انقسام زعماء الحركات التحررية المغاربية بين الاتجاه الوحدوي و الاتجاه القطري.
- انطلاق الثورات التحررية المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب).
- العدوان الثلاثي على مصر 1956م.

1انقسام زعماء الحركات التحريرية المغاربية بين الاتجاه الوحدوي والاتجاه القطري:

لقد تناغمت قيادة الحركات التحريرية المغاربية مع متغيرات ما بعد الحرب العالمية الثانية المتمثلة في تقهقر الإمبراطوريات الاستعمارية التقليدية (فرنسا- بريطانيا) ، وبروز قوى عالمية جديدة (الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي) ، وتأسيس منظمة الأمم المتحدة سنة 1945م التي أعلنت بوضوح حق الشعوب في تقرير مصيرها وقيام جامعة الدول العربية بمصر، حيث إرتأت هذه القيادة الإستفادة من هذه المتغيرات ومحاولة تدويل القضية المغاربية إعتمادا على الدعم العربي المحتمل لها[1].

لقد تألفت لجنة تحرير المغرب العربي برئاسة الأمير عبد الكريم الخطابي إثر إلتجائه الى القاهرة وحاول الزعماء المغاربة في القاهرة الالتفاف حول البطل المغاربي، لكن سرعان ما تباينت وجهات النظر بين بعضهم بعضاً وبينه وبينهم ، وكان منهم من يرى الثورة المسلّحة فوراً ومنهم من يعترف بأهمية الدعاية والاتصالات الخارجية ومنهم من يرى التريث والاستعداد ،ورأى الأمير أن يتحدوا كلهم على رأيه وهو الثورة العامة الشاملة في وقت واحد وكان ذلك أمرا مستحيلاً[2].

يرى عبد الكريم الخطابي أن تحقيق طموحات شعوب شمال إفريقيا – كما يراها كذلك حزب الشعب الجزائري – يجب أن يمر عبر الطريق الثوري، ولا يتم الوصول إليه إلا بالكفاح المسلح وحده، ولكن حزب الدستور الجديد التونسي لم يكن على إستعداد لسلوك هذا الطريق فقد كان يبحث عن وسائل ضغط لإجبار فرنسا على التفاوض والاعتراف بالمصالح الخاصة والتي كان الحزب يريد أن يكون ممثلا لها .

ومن أجل هذا السبب لم يكن حزب الدستور الجديد مقتنعا بميثاق لجنة تحرير المغرب العربي التي تلاشت بسرعة[3].

إن اختلاف وجهات النظر بين رئيس لجنة تحرير المغرب العربي، عبد الكريم الخطابي والأمين العام للجنة الحبيب بورقيبة أدى إلى تغيير هذا الأخير لمنهاج كفاحه وأصبح يعمل وفق مناهجه القديمة ، لصالح القضية التونسية أي السياسة القطرية وهذا مما أدى برئيس اللجنة – عبد الكريم الخطابي- إلى إقصاءه من الأمانة العامة وتعيين مكانه علال الفارسي وحدث ذلك أثناء غياب الحبيب بورقيبة الذي كان في جولة بالبلدان العربية ،

---

[1] **الطيب لباز** ، المرجع السابق ، ص 66.

[2] **الرشيد إدريس** ، المصدر السابق ، ص ص 18 ، 19.

[3] **محمد حربي** ، الوطنيون الجزائريون والمغرب العربي 1928-1954م ، (ط1؛ بيروت-لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1987م)، ص 80.

ونستطيع القول أن نشاط الحبيب بورقيبة لقضية المغرب العربي وفق الوجهة القومية العربية كانت بين سنوات 1945م إلى غاية 1948م[1].

كما أن الخلاف كان كذلك بين قادة حزب الدستور الجديد بالقاهرة ،فلقد اغتاظ الحبيب بورقيبة كثيرا من موقف الحبيب ثامر اتجاهه لأنه أقدم على انتقاده علنا أواخر 1947م وبداية 1948م ' وألّب كل التونسيين الموجودين بمكتب المغرب العربي ضده وشكل هذا القطع الثامري بداية لتبلور جناح آخر ولو باحتشام داخل قيادة الدستور الجديد بمصر، سميناه الجناح الثامري ويجسده الحبيب ثامر ويناصره القيادي يوسف الرويبي المستقر بسوريا ، وذلك في مواجهة ما أسميناه الجناح البورقيبي الذي لن يتبلور بوضوح إلا في سنة 1950م إثر رجوع الحبيب بورقيبة إلى تونس في شهر سبتمبر 1949م ، فالحبيب ثامر وجناحه يرتكز على مبدأ القيادة الجماعية والقرار الجماعي و استبعاد التفرد القراري وفقا لمرجعيات الحزب حتى ولو كان المستهدف هنا زعيم الحزب ، الذي يعتقد انه باحتكار الأسبقية النضالية لا يمكن لهذه القيادات الصاعدة أن تصل إلى مرتبته العليا وذلك لا يوجد مبرر كاف يمكنها من حق الانتقاد وقد تزامن هذا الاعتقاد البورقيبي مع تزايد خيبته اتجاه عرب المشرق[2].

فالزعيم التونسي " الحبيب بورقيبة " لم يكن يؤمن بحل دولي بقضية بلاده يفرض من الخارج ، ولم يكن يريد اللجوء إلى أي شكل من أشكال النضال يمكنها أن تسبب في ظهور مواقف مستقلة داخل الجماهير، لذلك كان كل سياسته تهدف إلى جر فرنسا للحلول التوفيقية[3] .أواخر صيف 1948م حل الأمين العام للحزب الدستوري الجديد صالح بن يوسف* بالقاهرة فوجد مكتب المغرب العربي متصدعاً نتيجة الخلافات بين المغاربة والتونسيين وبين التونسيين أنفسهم الذين إنقسموا إلى التمسك بالعمل الموحد بين التونسيين المغاربة ، ويعّد ذلك إجحافاً لحق تونس في المكتب ويمثله الحبيب ثامر، وشق يدعوا إلى وضع حد للخلافات مع المغاربة وعلى هيمنتهم على

[1] **علال الفاسي** ، االمصدر السابق ، ص 412.
[2] **الطيب لباز** ، المرجع السابق ، ص 67.
[3] **محمد حربي** ، المرجع السابق ، ص77.

* صالح بن يوسف (1907-1961م) : ولد بتونس وتخرّج من معهد الصادقية وواصل تعليمه العالي بالعاصمة الفرنسية باريس وتخصّص في المحاماة ، عاد إلى تونس ، أنتخب أمين عام الحزب الدستوري الجديد ، ساير الأفكار الثورية لعبد الكريم الخطابي ، رفض قبول بورقيبة بمبدأ الحكم الذاتي للبلاد ، الذي تم الإعلان عنه في شهر جوان 1952م ، ودخل في معارضة مسلحة ضد نظام بورقيبة ، تمّ إغتياله سنة 1961م . للمزيد عد إلى: **عبد اللطيف الحناشي** ، "موقف بورقيبة من قضايا الوحدة العربية والمغاربية 1956-1974م" ، (تونس، أعمال المؤتمر العالمي – الحبيب بورقيبة وإنشاء الدولة الوطنية – منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، 2001م) ، ص 47.

المكتب من خلال إنهاء العمل الموحد بين الطرفين واستمرارية النشاط الوطني كل طرف على حده ويمثله الرشيد إدريس ، ونظراً لهذا الانقسام فإن صالح بن يوسف قرر مساندة الحبيب ثامر على ضرورة العمل الموحد بعد أن تفاهم مليًّا مع الأخ علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال الذي كان في القاهرة يومئذ ، وعودته إلى تونس وقيامه بعقد مؤتمر استثنائي للحزب وهو مؤتمر "دار سليم" وذلك يومي 16 و17 أكتوبر 1948م، ومساهمته في إدخال كل من يوسف الرويسي والحبيب ثامر (ذوي الميول الوحدوي المغاربية) في الديوان السياسي، التي اعتبرها بورقيبة من أمينه العام[1].

يقول الحبيب بورقيبة :

"هكذا سحب مني كل نفوذ واعتبرت خارج دائرة ذوي الحل والعقد في الحزب"[2].

ويبدو أن الظروف السيئة التي أحاطت بالجامعة العربية سنة 1948م وعلى رأسها انهزام الدول العربية في الحرب ضد إسرائيل ، فلم تكن مشاكل المغرب العربي تشغل المشرق العربي بنفس الأهمية التي حظيت بها قضية فلسطين، فلم تول المسائل المغاربية الاهتمام الذي كان يأمل إليه الحبيب بورقيبة.

إرتأى الحبيب بورقيبة الرجوع إلى تونس في سبتمبر 1949م ،واعتزم البدء في خط جديد يعتمد التفاوض مع فرنسا قبل اللجوء إلى طرق أخرى ، وكان تبريره يتمثل في هزيمة البلدان العربية أمام إسرائيل وعجز هذه البلدان على تقديم المساعدة إلى المغاربة[3].

- إن هذا الانقسام الحزبي قد زادت السلطات الفرنسية في تغذيته واعتمدت عليه في تحديد مؤشرات التفاوض مع الحركة الوطنية التونسية ووضعت تصنيفا يميز بين خطي المرونة والتصلب داخل هذه الحركة فوجدت الحبيب بورقيبة أقدر على السير بالمفاوضات إلى المستوى الذي تروم فرنسا بلوغه[4].

في هذه الأثناء طرح الحبيب بورقيبة برنامجه التفاوضي المعروف بالنقاط السبع[5] .

---

[1] **الطيب لباز** ، المرجع السابق ، ص 68.

[2] **الحبيب بورقيبة** ، حياتي ، آرائي ، جهادي ، (ط3؛ تونس: وزارة الإعلام ، 1984م) ، ص 203.

[3] **الحبيب بورقيبة** ، نفسه ، ص 204.

[4] **عمار السوفي** ، عواصف الإستقلال "رؤية في الخلاف اليوسفي –البورقيبي" جذوره وتداعياته ، (تونس: دار الكتب الوطنية للتوثيق والإعلام ، 2006م) ، ص 72.

[5] النقاط السبع : وهي إستعادة السلطة التنفيذية ، خكومة تونسية متجانسة ، إلغاء الكتابة العامة ، إلغاء الجندرمة ، مجالس بلدية منتخبة ، إنتخاب مجلس تشريعي ، تحديد طبيعة العلاقات بين فرنسا وتونس . للمزيد عد إلى: **عميرة علية الصغير** ، المرجع السابق ، ص 184.

- إن إصلاحات 1951 أكدت على رفع حالة الحصار المضروب على تونس وعلى نشاط الحزب الدستوري ، إلا أن السلطات الاستعمارية الفرنسية لم تنفذ ذلك وواصلت سياسة القوة بل طلب المقيم العام "لويس بيرلي"* من الباي إقالة صالح بن يوسف من الوزارة لأنه أمضى نداء للإضراب تضامنا مع المغاربة[1].

وحدث ذلك أثناء الأزمة الفرنسية- المغربية في سنة 1951م ومناورات فرنسا لفرض القبول بالسيادة المزدوجة في المغرب ، وإرغام السلطان مولاي محمد على القبول بذلك بالرغم من دخول حزب الدستور الجديد في مفاوضات منفردة مع فرنسا، إلا أن دوره الريادي في إعلان الثورة كان له الأثر الايجابي في تعميمها عبر ربوع المغرب العربي، فلقد ندّد الديوان السياسي لحزب الدستور الجديد بسيادة الضغط والقوة المسلطة على الشعب المغربي وسلطانه وشجب الإيقافات التي تنال من الوطنيين المنخرطين في حزب الاستقلال ، ومما زاد في تعفّن الأوضاع بتونس فشل المفاوضات التونسية الفرنسية ، والتي كرستها مذكرة الخارجية الفرنسية في تاريخ 15 ديسمبر 1951م وما تلا ذلك ، بداية من 18 جانفي 1952م من حملة إعتقالات وقمع الوطنيين مما أدى إلى انفجار المقاومة العنيفة في المدن والأرياف[2].

وهكذا انطلق الدستوريون الجدد في تفجير الانتفاضة ضد الاستعمار الفرنسي لسنة 1952م، وكأنهم في ذلك قد مهّدوا لانتفاضة ثانية عرفها المغرب الأقصى سنة 1953م ، وما تحمله الانتفاضتين من فضائل تؤمن بوحدة الكفاح المشترك في المغرب العربي ، أما الجزائر فكانت تتهيأ لمولود ثوري جديد ...

إن دخول كل من تونس والمغرب الأقصى في حرب تحررية ضد الاستعمار الفرنسي أدى ذلك إلى حدوث أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية في شهر أفريل 1953م ، والتي أدت إلى ظهور«اللجنة الثورية للوحدة والعمل» ، والتي انبثقت عنها ميلاد جبهة التحرير الوطني التي أعلنت الثورة ، والتي كان من المفروض أن تبدأ المعركة في البلدان الثلاثة...

---

* لويس بيرلي : ولد بمدينة نيم ،دخل الكاديمية العسكرية بسانسير وتخرج منها كضابط ،تحصل على الدكتوراه في الحقوق وانخرط في العمل السياسي ، عين في 1جوان 1950/ مقيما عاما بفرنسا بتونس التي اعلن فيها عن عزمه على تطبيق جملة من الإصلاحات ، دخل في مفاوضات مع الحزب الدستوري الجديد إلا أنها تعثرت في 18 ديسمبر 1951م أعلن عن إعفاء المقيم العام . **الطيب لباز** ، المرجع السابق ، ص 70.

[1] **شارل أندري جوليان** ، المصدر السابق ، ص231.

[2] **عميرة علية الصغير** ، المرجع السابق ، ص ص 185- 189.

- إن ضعف أداء لجنة التحرير المغاربية المؤسسة منذ 1948م ظل محل انتقاد الحزب الدستوري الجديد ، الذي طالب بضرورة تعديل ميثاقها ، وبالفعل نرى هذا الحزب قد ساهم في بعث عقد جديد للجنة تحرير المغرب العربي في شهر أفريل 1954م في مقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، بحيث وقّع ممثلو الحزب وهم كل من صالح بن يوسف وعلي البلهوان على هذا الميثاق[1] ، إلى جانب إخوانهم ممثلي المغرب والجزائر وذلك من أجل توحيد الجهود والتوفيق بين وجهات النظر لمواجهة ضراوة الاستعمار في المغرب العربي كله[2] ، هذا الميثاق الجديد يدعم العمل القطري أكثر نظرا أن بنوده لا تنص على وحدة كفاح المغرب العربي[3].

ولذلك فإن معظم مبادئ ميثاق لجنة 1948م قد ألغيت، باعتبار أن التجارب قد أكدت فشل عمل تلك اللجنة ، نظرا لتلك الخصومات والخلافات بين الوفود المغاربية في مكتب المغرب العربي، وهذا ما يفسر غياب الأمير عبد الكريم الخطابي وأخوه عن حضور الاجتماع والتوقيع على عقد الميثاق الجديد ، وأدى بالأمير كذلك إلى إعلان مشروعه الثوري أي الثورة المسلحة والشاملة والمتزامنة في كامل المغرب العربي وفرض الأمير عبد الكريم الخطابي قادة من الحزب الدستوري الجديد ، من ضمنهم يوسف الرويسي والأمين العام للحزب صالح بن يوسف ومناضلون دستوريون آخرون أبرزهم:علي الزليطي و ابراهيم طوبال وعبد العزيز شوشان وحسين التريكي ومجموعة من الضباط التونسيون الذين أشرف على تكوينهم محمد بن عبد الكريم الخطابي، شأن الهادي بي عمر ويوسف العبيدي هؤلاء الذين دخلوا مغامرة جيش التحرير المغربي العربي منذ أواخر 1955م وساهموا في الثورة الجزائرية[4].

- كما لعب القيادي الدستوري يوسف الرويسي والذي كان مسؤول مكتب المغرب العربي بدمشق دورا هاما في تجسيد أفكار عبد الكريم الخطابي الثورية حيث يقول في شهادة سجلها في الملتقى حول "عبد الكريم الخطابي وجمهورية الريف"أن علاقات عبد الكريم به شخصيا تحسنت كثيرا حين علم عبد الكريم أن يوسف الرويسي نجح في تسجيل طلبة من الأقطار المغاربية في الكليات العسكرية في سوريا والعراق ، وأنه اختار عناصر من المتطوعين من الأقطار

[1] **محمد العربي الزبيري** ، المرجع السابق ، ص ص 79 ، 80.
[2] للإطلاع أكثر على بنود هذا الميثاق الجديد للجنة تحرير المغرب العربي أنظر الملحق رقم (5) ، ص .
[3] **هارون هاشم** ، المرجع السابق ، ص 98.
[4] **عميرة علية الصغير** ، المرجع السابق ، ص 211.

المغربيـة فـي حـرب فلسـطين ليتـدربوا فـي تشـكيلات الكومنـدو اسـتعدادًا للعمـل المسـلح ، ويـذكر الرويسـي كـذلك أن انطـلاق الثـورة الجزائريـة هـو الـذي مـلأ قلـب الأميـر عبـد الكـريم بالغبطـة والأمـل ، لأنـه كـان يـرى فيهـا بدايـة لتحقيـق أفكـاره فـي الثورة المغاربية المسلحة[1] .

يقـول بشـير القاضـي* - أحـد المناضـلين فـي حـزب الشـعب منـذ الصـغر- وهـو يسـتعرض بعـض الأحـداث التـي عاشـها شخصـياً فـي إطـار مـا يسـمى بمحـاولات توحيـد وتنسيق الكفاح المسلح بين الأقطار المغاربية الثلاث :

«...إن حركـات المقاومـة بـدأت بأقطـار مغربيـة كـل قطـر علـى حـدى، مـثلا إخواننـا التونسـيون بـدءوا بالمقاومـة ، كـذلك تـبعهم الإخـوان المغاربـة نتيجـة الأحـداث المعروفـة ومـن القمـع والظلـم آنـذاك، وللظـروف العالميـة وعوامـل متعـددة جـاءت حركـات المقاومـة لتحـل ظاهريـا محـل المسـعى، والمحاولـة التـي كـان يقـوم بهـا هـذا الفريـق والتـي انطلقـت فيهـا لجنـة تحريـر المغـرب العربـي مـن القـاهرة ، مـن الناحيـة السياسـية، ومـن الناحيـة الموضـوعية يمكـن أن تعتبـر هـذا نـوع مـن تحقيـق الهـدف المنشود وهو بدء المقاومة ضد الاستعمار في هذه المنطقة...»[2].

ولقـد بـرز فـي إطـار هـذه الجهـود التنسـيقية بـين المغاربـة مـن أجـل التحـرر كـذلك المناضـل الـوطني الدسـتوري الـدكتور حـافظ إبـراهيم المسـتقر بمدريـد منـذ أوت 1944م ، وقـد قـدم خـدمات جليلـة للمقاومـة المغربيـة والجزائريـة حيـث وصـف "بجنـدي الخفـاء ورجـل المهـام الصـعبة" ، فلقـد لعـب دورًا أساسـيًا فـي الـربط بـين المناضـلين المغـربيين (عبـد الكـريم الفاسـي وعبـد الرحمـان اليوسـفي والحكـيم الخطيـب) والجزائـريين (العربـي بـن مهيـدي ومحمـد بوضـياف) والقيـادة فـي مصـر ، وتزويـد المقاومـة فـي المغـرب والجزائـر بالسـلاح والتبـرع بأموالـه

[1] **لمنور المروش** ، "المناضلون المغاربة في القاهرة والكفاح المسلح في الجزائر" ، جيش التحرير المغاربي ، المرجع السابق ، ص 158.

* بشير القاضي : مناضل من مناضلي حزب الشعب منذ 1944م ، درس بالزيتونة ، كان مطلوباً من طرف العدالة منذ 1948م ، فرّ إلى ليبيا وانضمّ بعد إتصال مع بن بلة إلى اللجنة الثورية للوحدة والعمل ، عين مسؤولا عن القاعدة الليبية من طرف مصطفى بن بولعيد ، كلف منذ سبتمبر 1954م بمهمة بفزان مع محمد بلحاج لوضع القاعدة الأولى لجيش التحرير المغاربي بليبيا . للمزيد أنظر : **بشير القاضي** ، المرجع السابق ، ص 177.

[2] **بشير القاضي** ، المرجع السابق ، ص 170.

الخاصة لاشترائه والتنقل عبر أوربا ، لذلك يمكن القول أن نشاطه لفائدة حركات التحرر المغاربية كان مكثّفًا ومتواصلاً[1].

وإذا كان هناك من علّق قائلا أن قضية التضامن مع تونس والمغرب الأقصى، قد رفضت في مؤتمر زلين ، بسبب الأوضاع السياسية المختلفة لبلدان المغرب العربي و اهتماماته الداخلية بالثورة المسلحة[2] ، فيرجع ذلك – ربما- إلى فشل حزب الشعب الجزائري في مساعيه خلال سنة 1949م ، بهدف دراسة إمكانية تكوين جبهة مسلحة مغاربية ،حيث أرسل وفدًا إلى المغرب الأقصى في شهر جانفي ، تألّف من السيّدين محمد خيضر والحاج محمد شرشالي ، وقابل الوفد علاّل الفاسي والمهدي بن بركة ،غير أن هؤلاء رفضوا إنشاء تنظيمات مشتركة على المستوى العسكري ، وكانوا ينتظرون طرح مشكلة بلدهم سياسيًا من قبل السلطان، كما أرسل الحزب وفدًا آخر تألف من السيّدين حسين الأحول (الأمين العام للحزب) ، وأحمد بن بلة (الذي أصبح بداية من ربيع 1949م على رأس المنظمة الخاصة) إلى تونس[3] ، وتمّ له الاتصال بصالح بن يوسف ،الأمين العام للدستور الجديد والحبيب بورقيبة ، غير أن المسّيرين التونسيين تحفّظوا اتجاه هذه المسألة [4] .

و الملاحظ أن "الجبهة" لن تؤدي أي دور على المستوى المغاربي، بل ظل ميثاقها حبرا على ورق، اللهم إلا ذاك التعاطف والمساندة لتونس من قبل الجزائريين والمراكشيين، إثر إغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد يوم 5 ديسمبر 1952م ، ومن الأسباب التي عطّلت مهام الجبهة ،تطور الأمور في كل من تونس والمغرب الأقصى ، والإنزلاق نحو العمل القطري ، فقد كانت المسألة التونسية على المستوى الخارجي ، فقد أدرجت في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة ، وأحرزت على بعض النجاح ، أما على المستوى الداخلي فإن مناوشات المجاهدين التونسيين للجيش الفرنسي ، كانت هي كذلك قد إنطلقت مع نهاية سنة 1951م[5] ولن تصل سنة 1954م حتى صرّح منديس فرانس في 31 جويلية بقرطاج – تونس- كان قد وصل إلى الحكم في فرنسا في جوان 1954م

---

[1] **الطيب لباز** ، المرجع السابق ، ص 73.

[2] **Mohammed harbi** , les archives de la revolution algérienne , (paris : edition jeune afrique , 1980) , p p 15- 49 .

[3] هناك وفد آخر أرسل إلى تونس - على مايبدو – أنه ذكر حسين آيت أحمد أن الوفد يتألف من : بوقادوم ، بن بلة الذي كان مسؤول المنظمة الخاصة بالمنطقة الغربية . للمزيد أنظر : **محمد بلقاسم** ، المرجع السابق ، ص 343.

[4] **محمد بلقاسم** ، نفسه ، ص 343.

[5] **André Raymond et jean poncei** , la tunisie , (paris: presses universitaires , 1971) , p p 68 – 72 .

بضرورة منح تونس الإستقلال الداخلي ، وهو الطرح الذي كان يحلم به بورقيبة وجماعته[1]، وكان كل هذا ما توصلنا إليه من نضال وحدوي على مستوى المغرب العربي، وهو النضال الذي إصطدم بصخرة واحدة مع السنوات الأولى للخمسينيات ، تمثلت في خوض فكرة التجربة النضالية القطرية الخاصة بكل بلد...

إنّ الخلافات التي وجدت منذ أواخر الأربعينات وخاصة بداية الخمسينات بين دعاة التوحيد والعروبة والإسلام والارتباط بالشرق ودعاة المرحلية والطرق الدبلوماسية والوطنية الضيقة والإرتباط بالغرب ، زادت من حدة هذه الاختلافات واتسعت دائرتها أكثر بعد تشجيع الاستعمار لهذا الإتجاه الأخير لذلك فإن استقلال البلدان الثلاثة حسمت لصالح كل من تونس والمغرب وبدعم من فرنسا بإعتبار أن صيغ استقلال المغرب العربي كان الطرف المحدد فيها والمحدد لها هي فرنسا ، وقد كان خرق لبنود ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي من قبل بعض التشكيلات وشخصيات لجنة تحرير المغرب العربي من أبرز الأسباب التي جعلت التناقضات في المواقف والاستراتيجيات تطفو على الأسطح وأدت إلى إنقسام المقاومة إلى قسمين:

قسم براغماتي يساوم على الثوابت مقابل استقلال شكلي ومن أبرز رموزه الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة ، وقسم ثوري جذري يتمسك بمبدأ إستئصال الاستعمار الفرنسي من جذوره يقوده زعيم ثورة الريف عبد الكريم الخطابي.

ويظهر التناقض واضحًا بين الرجلين عند رفض الخطابي للنظام الحزبي الليبرالي باعتباره آلة لتقسيم العمل الوطني ، وإستدخالا لصراعات ثانوية لا تخدم قضية التحرير بينما نجد بورقيبة متأثرًا بالنموذج العلماني الليبرالي الذي انعكس جليًا في سياسة الفرنسة والعلمنة التي نهجتها تونس خلال حكمه[2].

1. إنطلاق الثورات التحررية المغاربية (الجزائر ، تونس ، المغرب):

أ) حركات التحرر الجزائرية 1945-1962م :

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى 1914-1918م التي عرفت مشاركة الآلاف من الجزائريين الذين قاتلوا وماتوا فيها إلى جانب القوات الفرنسية ، وفي مقدمة هؤلاء المشاركين الضباط الأمير خالد ، وظهور سياسة الإصلاحات التي وعدت بها فرنسا

[1] **الطيب لباز** ، المرجع السابق ، ص 74.
[2] **سهيل الخالدي** ، مقابلة شخصية مع الباحث ، المرجع السابق .

الجزائريين مثل إصلاحات 1919م ، ظهر نشاط سياسي جزائري دشّنه الأمير خالد منذ عام 1919م بالدعوة إلى المساواة والإصلاح[1].

وفي نفس السنة سافر وفد جزائري برئاسة الأمير خالد لطلب مشاركة الصلح في عام 1919م بباريس لعرض قضية الجزائر على المؤتمر وذلك وفقاً لمبادئ الرئيس ويلسون[2].

والتي أعطت للشعوب حق تقرير المصير فلم ينتبه إليه أحد ، ولما رجع إلى بلاده شكل كتلة النخبة من الجزائريين على كافة الحقوق حتى عضوية مجلس النواب الفرنسي وطالبوا بوقف الهجرة إلى الجزائر ، وهنا قامت الإدارة الفرنسية بنفي الأمير خالد فسافر إلى مصر ثم تركها وسافر إلى فرنسا وهناك ألف لجنة أبناء الشمال الإفريقي ، شارك فيها مصالي الحاج الجزائري وعبد القادر الحاج علي المراكشي ونادوا بعقد مؤتمر عام لشمال إفريقيا وطالبوا فيه بحرية الصحافة كما أيدوا حركة الزعيم عبد الكريم الخطابي ، فقامت الحكومة الفرنسية بإلقاء القبض على الأمير خالد وصحبه ، إلا أن المحكمة أيدت عدم الحل للجماعة المغربية وأفرج عنهم وسمح لهم بممارسة نشاطهم ، وفي عام 1925م ظهرت في الجزائر اتجاهات من بينها الاتجاه الكفاحي ويعتمد على الطبقة العاملة والفلاحين والاتجاه الثاني الإصلاحي والاتجاه الثالث الاتجاه المعتدل ، أما الاتجاه الكفاحي فقد ربط العمال الجزائريين المهاجرين في فرنسا وبين العاملة الفرنسية وفي ظل تلك الأفكار الثورية نشئت جمعية نجم شمال إفريقيا[3] .

لقد كانت الهجرة الجزائرية هي أول من أسس حركة وطنية تحت إسم نجم الشمال الإفريقي[4] في العاصمة باريس الفرنسية في جوان 1926م من طرف العمال الجزائريين ، وكانت أهم مطالبه :

- استقلال الجزائر .
- جلاء قوات الاحتلال الفرنسي .

---

[1] **عمّار عمّورة** ، الجزائر بوابة التاريخ ماقبل التاريخ الى 1962م ، (الجزائر : دار المعرفة ، 2009م) ، ج2 ، ص ص 286 ، 287.

[2] **ahmed koulakssis et meynier gilbert** , l'emir khaled premier z'aim , (paris : editions l'harmattan , 1987), p 8.

[3] **محمود السيّد** ، تاريخ دول المغرب العربي(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا) ، (مصر: مؤسسة شباب الجامعة ، 2000م) ، ص ص 178 ،179.

[4] **محمد قنّاش ومحفوظ قداش** ، نجم شمال إفريقيا 1926-1937م ، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، 2009م) ، ص 40.

- تأسيس جيش وطني.
- حجز الأملاك الفلاحية الكبيرة التي استولى عليها الإقطاعيون العملاء و المعمرون و إرجاعها إلى الفلاحين الذين سلبت منهم.
- إحترام الأملاك الصغيرة والمتوسطة.

ثم برزت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الوجود كحركة سياسية ذات جذور اجتماعية قوية وذلك في إطار الصحوة الإسلامية وحركات التحرر العربية التي عمّت العالم العرب والإسلامي في بداية القرن 20[1] ، وذلك في شهر ماي 1931م ، وقد إتخذت مقرًا لها في بداية تكوينها نادي الترقّي الذي أسس بالعاصمة عام 1926م ، وتولّى رئاستها منذ البداية الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي إنتخبه زملائه رئيساً للجمعية[2] ، ووضع لها قانون أساسي من بين مواده عدم الإشتغال بالسياسة لأن ذلك كان هو الضمانة الأولى والشرط الأساسي لتأذن الحكومة الاستعمارية بقيامها وكانت أدوات العلماء في دعوتهم هي اللسان والعلم ، وكانت ميادينهم المساجد والأندية والمدارس الحرة والصحف والمناشير[3]، ومن بين أهدافها مايلي:

- إحياء الدين الإسلامي.
- العمل من أجل بعث وتطور الثقافة العربية الإسلامية.
- السعي لتوحيد أبناء الشعب الجزائري.
- توعية الشباب الجزائري وتهيئته للنضال في المستقبل.
- الدعوة إلى توحيد العمل المشترك مع أبناء تونس والمغرب[4].

وفي 1936م وجهت جمعية العلماء نداءات متتالية إلى كافة القوى في البلاد ، وقد دعتهم إلى ضرورة اللقاء على طاولة المناقشة والحوار لتوحيد الجهود وتعميق الفكر حول مستقبل الجزائر ، في 7 جوان من نفس السنة إنعقد المؤتمر الإسلامي في قاعة سينما الماجستيك بالعاصمة وشارك فيه إتحاد المنتخبين المسلمين والحزب الشيوعي والحزب الإشتراكي وجمعية العلماء وبعض الشخصيات المستقلة ، ولم يقاطعه سوى نجم شمال إفريقيا وقد أسفر على جملة من المطالب:

- إلغاء سائر القوانين الاستثنائية .

---

[1] **عمّار بوحوش** ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م ، (لبنان: دار العرب الإسلامي ، 1997م) ، ص ص 244 ، 245.

[2] **رابح تركي** ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، (ط5؛ الجزائر : المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر ، 2001م) ، ص 90.

[3] **الفضيل الورتلاني** ، المصدر السابق ، ص 142.

[4] **عمار بوحوش** ، المرجع السابق ، ص 246.

- المحافظة على الحالة الشخصية الإسلامية .
- فصل الدين عن الدولة .
- إرجاع الأموال والأوقاف الإسلامية[1].

وفي 11 مارس 1937م أنشئ حزب الشعب الجزائري الذي لا تختلف أهدافه عن أهداف النجم ، فكان أول هدف وضعه حزب الشعب الجزائري في مقدمة غهتماماته هو التصدي لسياسة الإندماج والتجنيس ومحاربة الداعيين لها ، ونتيجة النشاط المكثف الذي مارسه الحزب تصدت الإدارة الاستعمارية له بالمضايقات والقمع والملاحقات كما تحول حزب الشعب الجزائري إلى مدرسة شعبية لغرس الأفكار الوطنية الاستقلالية الثورية وترسيخ روح التضحية في المناضلين ، ومنذ أن عرف الجزائريون النضال السياسي وشرعوا في إستخدامه إعتقاداً منهم أنه يقوم بدل السلاح بمهمة الحصول على الحقوق المهضومة فاعتمدوا عليه[2].

قام الجزائريون بمبادرة جديدة بإنشاء بيان بتاريخ 10 فيفري 1943م تضمن عرض مفصل عن الاستعمار وعن فشل الإصلاحات الفرنسية في الجزائر ، كما تضمّن مطالب جديدة ، ففي 31 مارس 1943م توجّه وفد جزائري إلى الحاكم العام بيروتون وسلّمه نص البيان ، وأرسل كذلك الجزائريون نسخاً من هذا البيان إلى ممثلي أمريكا وبريطانيا والإتحاد السوفياتي في الجزائر ، كما أرسلوا نسخة إلى الجنرال ديغول الذي كان ما يزال عندئذ في لندن ، ونسخة أخرى إلى الحكومة المصرية أي إلى القاهرة[3].

طالب البيان باسم الشعب الجزائري إزالة الاستعمار ، تطبيق مبدأ تقرير المصير، كما تمنح الجزائر دستوراً خاصاً يتضمن :

- المساواة والحرية لكل سكانها دون تفرقة في العرق والدين.
- إزالة الملكية الإقطاعية عن طريق الإصلاح الزراعي .
- الإعتراف باللغة العربية كلغة رسمية إلى جانب الفرنسية .
- حرية الصحافة والتجمع .
- التعليم الإجباري لكل السكان.

---

[1] **رابح تركي** ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، المرجع السابق ، ص ص 100 -102.
[2] **محمد الطيب العلوي** ، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م ، (الجزائر : منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، 1954م) ، ص 183.
[3] **محمد الدرعي** ، المرجع السابق ، ص 166.

- مبدأ فصل الدين عن الدولة[1].

في سنة 1944م صدرت جريدة المساواة على لسان حركة أحباب البيان والحرية، والتي لعبت دوراً كبيراً في توعية المناضلين ، وبمناسبة عيد العمال 1 ماي 1945م نادى حزب الشعب إلى تنظيم مظاهرات في كامل التراب الوطني ، كان الغرض منها توعية الشعب الجزائري ، فغصت الشوارع بهم وكانوا يحملون العلم الجزائري ولافتات مكتوب عليها "أطلقوا سراح مصالي الحاج وأطلقوا سراح المعتقلين ، الاستقلال " ، فكانت نتيجتها مجازر 8 ماي 1945م .

وفي عام 1946م على إثر العفو العام الذي أصدره البرلمان الفرنسي أطلق سراح المسجونين السياسيين بما فيهم مصالي الحاج ، فرحات عباس [2] .

وفي يوم 13 نوفمبر 1947م تأسست المنظمة الخاصة بعد أن أعطى مؤتمر حركة إنتصار الحريات الديمقراطية موافقته النهائية ، وأول منسق للمنظمة كان محمد بلوزداد ، ومع نهاية سنة 1948م بدأت تظهر الخلافات بين شبان المنظمة الخاصة ، وفي إجتماع اللجنة المركزية في ديسمبر إتضح أن الأولوية أعطيت نهائياً للمنظمة الخاصة التي شرع أعضائها في الإعداد للثورة منذ نهاية السنة ، ولكن حلّت المنظمة عام 1950م ، وصلت المور إلى المأزق فالإنتخابات لم يعد لها أي معنى والتحالف بين الأحزاب الوطنية لم يتحقق ، وعلى إثر إجتماع 5 أوت 1951م بقاعة سينما دنيا زاد بالعاصمة تكونت الجبهة الجزائرية ،من أجل الدفاع عن الحريات... أما في 23 مارس 1954م ظهرت اللجنة الثورية للوحدة والعمل وهو الإتجاه الذي فجّر ثورة نوفمبر المجيدة [3] .

وبعد حوالي 10 أشهر من إندلاع الكفاح المسلح وبالتحديد 20 أوت 1955م شهدت الثورة حدثاً تاريخياً وهو الهجوم على الشمال القسنطيني، التي كانت له إنعكاسات هامة على الصعيدين الداخلي والخارجي [4].

فقد مهدّت عملية 20 أوت 1955م لنشاط عسكري وسياسي منظم ، ففي 20 أوت 1956م إنعقد مؤتمر وطني في منطقة

---

[1] **عمار عمورة** ، المرجع السابق ، ص 308 ، 309.
[2] **عمّار عمّورة** ، المرجع السابق ، ص 310.
[3] **محمد الدرعي** ، المرجع السابق ، ص 203.
[4] **جمال قنان** ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، (الجزائر : منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، 1994م) ، ص 246.

الصومام ببجاية "مؤتمر الصومام" ، وقد أسفرت قراراته بتنظيم العمل الثوري على الصعيدين الداخلي والخارجي [1].

وفي 7 سبتمبر 1958م شهد مقر لجنة التنسيق والتنفيذ الكائن بجاردن سيتي بالقاهرة حركة غير عادية عندما إجتمع قادة الثورة لتشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وفي 11 ديسمبر 1960م قام الجزائريون بتظاهرات لفائدة تقرير المصير [2].

أما في 19 مارس 1962م تم التوقيع على معاهدة إيفيان والإعلان عن وقف إطلاق النار بين الجزائريين وفرنسا من طرف جيش التحرير الوطني [3].

ب) حركات التحرر التونسية 1945-1956م:

واجه الشعب التونسي الاحتلال الفرنسي بثورات شملت جميع أنحاء البلاد ودارت المعارك في القيروان وسوسة و قابس والقلعة الصغيرة و زغوان ، وقد دمّرت سفاقس تدميراً شديداً ، واستمرت المعارك في الجنوب إلى عام 1910م ، أما فيما يخص النشاط السياسي في تونس فقد نشأت الحركة الوطنية على أيدي المثقفين ، ومن الشخصيات البارزة في هذا المجال المناضل البشير صفر الذي قام بزرع الوعي بين الشباب ، وفي عام 1907م قام البشير صفر والمحامي علي باشا حانية بتنظيم الحزب التقدّمي للدفاع عن مصالح التونسيين ، وفي العام الموالي أصبح هذا الحزب يحمل اسم حزب تونس الفتاة و نادى بفكرة وحدة البلاد الإسلامية والاعتزاز بالخلافة العثمانية لزعامة العالم الإسلامي ، فقامت السلطات الفرنسية بحركة اعتقالات والنفي من جديد ، فرأى التونسيين اللجوء إلى الشرق وجعلوا هدفهم الجامعة العربية ، وقرّروا الاتفاق على ميثاق وطني يعلن بطلان الحماية الفرنسية [4] .

بعد الحرب العالمية الأولى تحول حزب تونس الفتاة إلى الحزب التونسي ، الذي يدعى عادة الدستور وراح الحزب ينادي بإعلان الحياة الدستورية كوسيلة للحصول على الاستقلال فقد نشر بياناً طالب فيه بتحرّي الشعب التونسي من

---

[1] **جمال قنان** ، نفسه ، ص 247.
[2] **عمّار عمّورة** ، المرجع السابق ، ص 344.
[3] **أبو جرة سلطاني** ، جذور الصراع في الجزائر ، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للطباعة، 1995م) ، ص 4.
[4] **محمود السيد** ، المرجع السابق ، ص 137.

قيود الإستعباد ، ومنحه دستوراً ، ويمكن تلخيص برنامج الحزب في النقاط التالية:

- تأسيس مجلس تشريعي .
- تأليف حكومة مسؤولة أمام المجلس .
- الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.
- إنشاء جيش وطني .
- فتح باب الوظائف أمام التونسيين.
- حرية الصحافة والإجتماع.

إلا أن سلطات الحماية اعتبرت تلك المطالب مخالفة لنص معاهدة باردو واتفاقية المرسى[1].

وفي شهر فيفري 1920م ، عوض الحزب التونسي بالحزب الحر الدستوري التونسي الذي ينادي بإعلان الحياة الدستورية كوسيلة لحصول على الاستقلال .

وفي سنة 1933م عقد الحزب الحر التونسي مؤتمراً استثنائياً و انتخبت فيه أسرة جماعة العمل في اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري ، وهم : محمد الدكتور، محمد الماطري ، والمحامي الطاهر صفر ، والمحامي البحري قيقة ، والمحامي محمد بورقيبة ،والمحامي الحبيب بورقيبة الذي ضم إلى المجموعة ولم يمر على جماعة العمل 7 أشهر حتى نشبت خلافات بينهم وبين قيادات الحزب ، وبدأت الحملات بينهم وبين اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري ، فانقسموا عنهم وسمّوا أنفسهم "الحزب الدستوري الجديد"[2].

و تعود الأسباب و الدوافع التي أدّت إلى ظهور الحزب الدستوري الجديد إلى ضعف الحركة الوطنية بعد نفي الزعيم عبد العزيز الثعالبي واستقراره في المشرق العربي ، وكان لإقامة الثعالب بالمشرق العربي أعمق الأثر في تطوير الحركة الوطنية في الشرق ، وتبلور فكرة الوحدة العربية ، فكان الثعالبي قد ربط حركة التحرر الوطني في أقطار المغرب بحركة التحرير بالمشرق العربي ، وبعد ان تمّ العفو عن جميع المعتقلين السياسيين والمبعدين عام 1936م شمل هذا العفو زعيم الحركة الوطنية عبد العزيز الثعالبي الذي عمل على وحدة الحركة ، إلا أن ذلك لم ينجح ، وفي 2 مارس 1943م إنعقد مؤتمر البعث الإستعجالي للحزب الدستوري التونسي بقصر الهلال إيذاناً ببداية مرحلة جديدة في الحكومة الوطنية التونسية بقيادة الحزب الدستوري الجديد ، تميز هذا

---

[1] **محمد الدرعي** ، المرجع السابق ، ص 86.

[2] **عبد الله الطاهر** ، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956م ، (ط1؛ لبنان : مكتبة الجماهير ، 1976م) ، ص ص 66 ، 67.

الحزب بالدفاع على جميع حقوق التونسيين مادياً ومعنوياً وبالمطالبة بتطبيق الإقتراع العام بدون تمييز في العرق والمعتقد والسير بالبلاد قدماً نحو تحقيق الاستقلال على مراحل[1].

وفي أوائل سنة 1938م وعلى إثر الإضطرابات وموجة الإضطهاد الاستعماري التي بدأت بمراكش ثم الجزائر وانتهت بتونس وقع أول صدى بين الجيش الفرنسي والجماهير في مدينة بنزرت واستشهد فيه وجرح عدد كبير من الوطنيين ، وبالرغم من الإرهاب والتقتيل الجماعي فإن الشعب التونسي لم يستسلم بل تكون لديه رد فعل على الكره ةالعداء للاستعمار ، إلا أن موقف الحزب الدستوري الجديد من هذه الإنتفاضات موقفاً سلبياً ومن الكفاح المسلح عموماً[2].

بعد استقلال سوريا ولبنان وإنهاء النفوذ الاستعماري الفرنسي بدأ الحديث في المشرق العربي عن الوحدة العربي ، وتعلقت آمال التونسيين كافة بهذا الحديث ، فأصبحت إهتمامات الرأي العام ، ولرجال السياسة في تونس نحو القاهرة ومؤتمر الإسكندرية الذي عقد في سبتمبر 1944م ، وهذا المؤتمر الذي تولدت عنه جامعة الدول العربية وفتحت آمال واسعة وعريضة أمام الحركة الوطنية في المغرب العربي كله ، وعلى إثر تأسيسها قصد أغلب قادات الحركات الوطنية في المغرب العربي القاهرة ، وأصبحت مركزاً لتجمع قادات الحركات الوطنية في المغرب العربي كلهم ، وفي نفس هذا العام 1944م توفي الزعيم عبد العزيز الثعالبي أبو الحركة الوطنية في تونس ولم يمت الثعالبي مجهولا في بيته بتونس ، ولكنه مات في ساحة النضال ، فكان لتأسيس جامعة الدول العربية الأثر الإيجابي على تقارب وجهت النظر بين الحركات الوطنية في الداخل والخارج[3].

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية نشطت الحركة الوطنية التونسية من جديد وتمثل ذلك في الحزب الدستوري الجديد مع الحبيب بورقيبة[4] ، وقد دعى الحزب الدستوري الجديد في 22 أوت 1946م إلى عقد مؤتمر سمي بمؤتمر ليلة القدر الذي تمّ تحت رئاسة القاضي لعروسي الحداد وقد أعلن فيه رئيس المؤتمر لعروسي الحداد بالإعدام على النظام الاستعماري في تونس والمغرب

---

[1] **عبد الحميد زوزو** ، تاريخ الإستعمار وحركات التحرر في إفريقيا وآسيا ، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1997م) ، ص 80.

[2] **عبد الله الطاهر** ، المرجع السابق ، ص ص 75-80.

[3] **عبد الله الطاهر** ، المرجع السابق، ص 82.

[4] **جلال يحي** ، المرجع السابق ، ص 400.

العربي كلّه ، واتخذ المؤتمر قراراً بالإجماع بالمطالبة بالاستقلال التام والإنضمام إلى جامعة الدول العربية ومنظمة الأمم المتحدة [1] .

وفي سبتمبر 1949م عاد بورقيبة إلى تونس بعد غياب دام أربع سنوات ونصف ، وقد إستفاد من وجوده بالقاهرة[2] ، وبعد ذلك تشكلت حكومة تونسية برئاسة محمد شنيق في 17 تشرين الأول 1950م ، وقد شارك حزب الدستور الجديد في هذه الحكومة التي أسندت وزارة العدل فيها إلى صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد على أساس الدخول في المفاوضات ، وشكّل وفد للتفاوض مع فرنسا برئاسة محمد شنيق وعضوية محمد بدرا وزير العمل والشؤون الاجتماعية ، وصالح بن يوسف وزير العدل ، وكانت من بين أهم مطالب الجانب التونسي تشكيل حكومة تونسية متجانسة وإرجاء النظر في وزارة المالية إلى مرحلة ثالثة من المفاوضات ...

وقد كان الرأي العام الفرنسي مهيأ لمنح التونسيين بعض الإصلاحات وقد درست لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة في إجتماع عقدته الاتفاقية التونسية الفرنسية ، وقد قرّرت فصل الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد ورئيسه بورقيبة من عضوية اللجنة وذلك حتى تحافظ على المبادئ التي قامت عليها[3].

وفي 18 جانفي 1952م تم إيقاف بورقيبة ونفيه إلى جزيرة مالطا، و بدأت عمليات القمع ضد الوطنيين كما برزت منظمة إرهابية تدعى اليد الحمراء التي قامت بتكوينها أجهزة الاستخبارات الفرنسية [4] ، حيث قامت هاته المنظمة باغتيال النقابي الوطني فرحات حشاد*.

---

[1] **عبد الله الطاهر** ، المرجع السابق ، ص ص 82 ، 83.
[2] **محمد الدرعي** ، المرجع السابق ، ص 93.
[3] **عبد الله الطاهر** ، المرجع السابق ، ص ص 146 ، 147.
[4] **محمد الدرعي** ، المرجع السابق ، ص 103.

* فرحات حشاد : أمين عام للمنظمة النقابية الوطنية ، فقد أصبح الزعيم النقابي من الوجوه البارزة في تونس مابعد الحرب ، إنطلق كمناضل نقابي من القاعدة في الثلاثينات ، ليتدرّج في سلم الهيئات النقابية كمسؤول على الإتحاد المحلي بمدينة سفاقس ، ثم متخوفاً من النفوذ الشيوعي للإتحاد الجهوي فعوض في اللجنة التنفيذية "للكونفيديرالية العامة للشغل الفرنسية" الذي ساد توجه الكونفيديرالية بعد الحرب ، ومن الحزب الدستوري الجديد الذي كان بعيداً عن إنشغالات عالم الشغل ، فقد سعى إلى إنشاء إتحاد نقابي تونسي مستقل عن الأحزاب ، قوي بتعداد منخرطيه حوالي 000. 100 وتنظيمه ، ومن ذلك انه في اوج النضالات التي سوف تسجلها سنوات 1951 – 1953م ، في الوقت الذي كانت فيه الزعامات البارزة في الحزب الدستوري الجديد إما في السجن "بورقيبة" أو في المنفى "صالح بن يوسف" ، اشرف على العمل الوطني بصفة جلية لأمينها العام فرحات حشاد ، للمزيد عد إلى:

Jean lacouture , 4 hommes et leurs peuples , sur pouvoir et sous developpement , (paris : 1969) , p 143 .

و قد تميزت الفترة الممتدة مابين(1952 – 1954م) بالمظاهرات و غيرها ، كما تميزت بالكفاح المسلح في الأرياف ، واستمرت المقاومة إلى نوفمبر 1954م ، وفي 31 جويلية 1954م توجه منداس فرانس إلى قرطاج وأعلن استقلال تونس الداخلي ، ونظراً لتزايد المعارضة من جهة واشتداد الثورة الجزائرية من جهة أخرى خشيت فرنسا عاقبة الأمور فعدّلت تلك الإتفاقية إذ قرّرت يوم 20 مارس 1956م الإعتراف بالاستقلال العام مع الإحتفاظ بقاعدة بنزرت البحرية ، وقد تألفت أول وزارة برئاسة الحبيب بورقيبة ، وانضمت تونس إلى الأمم المتحدة في العام نفسه[1] .

ج) حركات التحرر المغربية (1945- 1956م) :

في عام 1908م نجحت فرنسا في وضع مراكش تحت حمايتها ثم إمتد النفوذ الفرنسي إلى مصلحة الجمارك المغربية ، وانتهى موقف السلطان عبد الحفيظ بالتنازل عن الحكم لإبنه يوسف ، وبموجب اتفاق وقّعه هذا الأخير مع فرنسا ، دخل المغرب تحت حمايتها الحقيقية عام 1912م ، وشارك الإسبان الفرنسيين في احتلال المغرب [2].

وقد تمثلت ردود الفعل الوطنية في المقاومة المسلحة ، و يمكن تقسيمها إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى وقد امتدت من سنة 1912م إلى سنة 1915م ، أما المرحلة الثانية وتمثلها المقاومة العنيفة أو ثورة الريف المنظمة ضد الاحتلال الإسباني ، وقد امتدت على مدى خمس سنوات ، وذلك من 1921م إلى 1926م ، وقد قاد هذه الثورة البطل الريفي عبد الكريم الخطابي ، وقد اضطر عبد الكريم إلى الاستسلام ، فقدّم نفسه للفرنسيين في 29 ماي 1926م إلا أنه بعد هروبه من منفاه ، واصل الكفاح ضد الاستعمار .

أما الحركة السياسية الوطنية المغربية فيجمع الباحثون على أن سنة 1934م هي السنة التي عرف فيها المغرب التنظيم الحزبي مع العلم أن الوضعية العامة للأحزاب المغربية منذ نشأتها إلى حدود 1955م يتحكم فيها سياقان أو تياران ، تيار الإصلاح وتيار الاستقلال[3].

وقد ظهرت جماعة الشبان المغاربة وهي جماعة متكونة من خريجي الجامعات الفرنسية ، وقد تصدّت للسياسة الفرنسية ، وكان من أبرز هؤلاء أحمد بن الفريج الذي جمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية التي مكنته

[1] **محمد الدرعي** ، المرجع السابق ، ص 94.
[2] **محمود السيد** ، المرجع السابق ، ص ص 250 ، 251.
[3] **محمد الدرعي** ، المرجع السابق ، ص ص 111 – 116.

من أن يمارس مع زملائه نشاطاً سياسياً في كل من باريز والرباط ،من خلال جريديتي المغرب والعمل و العمل الشعبي ، ومن أبرزهم كذلك في مدينة فاس علال الفاسي الذي أسهم بواسطة الدروس التي كان يلقيها بجامع القرويين في إثارة العقول وتربية النفوس تربية قومية دينية ، وقد كان لصدور الظهير البربري البغيض فضل كبير في جمع شمل كل العناصر الوطنية ضمن الحركة الوطنية القومية وتوجيه جهودها نحو إصدار برنامج يكون محل اتفاق الجميع ، فكان أن تأسست في سنة 1934م "كتلة العمل المغربي" التي برز فيها إلى جانب الشخصيتين الوزاني و اليازادي ، وفي نفس الفترة تقريباً بحثت الكتلة عن زعامة تحظى بالتأييد الجماهيري فوجدتها في شخص السلطان محمد بن يوسف الذي لا يكون قد تأثر بالتأييد والولاء للذين لقيها من الحركة الوطنية [1].

وفي شهر نوفمبر 1942م نزلت قوات الحلفاء شمال إفريقيا الأمر الذي شجّع على الحزبين الوطنيين الموجودين : حزب الإصلاح و حزب الوحدة المغربية ، على إبرام ميثاق وطني في ديسمبر من نفس السنة يتضمن المطالبة بالاستقلال في إطار وحدة التراب الوطني وقد تميزت الفترة الممتدة من 1943م إلى 1955م بنشوء أحزاب وطنية جديدة :

1) حزب الاستقلال الذي أسسه المناضل أحمد بن فريج في ديسمبر 1943م ، وقد تشكل أساساً من أعضاء الحزب الوطني السابق.
2) حزب الثورة و الاستقلال : قام حسن الوزاني بتحويل الحركة القومية إلى حزب جديد أسماه حزب الشورى و الاستقلال.
3) حزب الشيوعي المغربي: وقد كان نشاط الشيوعيين محصورًا إلا أن وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا عام 1936م دفعهم إلى محاولة الحصول على الشرعية ، أما التأسيس فكان في جويلية 1943م وكان هذا الحزب يعتبر نفسه ممثلا للطبقة العاملة[2] .

الجبهة الوطنية المغربية : تم تأسيسها في شهر أفريل 1951م، و التي ضمت حزب الاستقلال وحزب الشورى و الاستقلال وحزب الوحدة المغربية وحزب الإصلاح الوطني ، كما بادرت هذه الجبهة بالعمل على إدراج القضية المغربية في جدول أعمال

[1] **عبد الحميد زوزو** ، المرجع السابق ، ص ص 84 ، 85.
[2] **محمد الدرعي** ، المرجع السابق ، ص ص 119 ، 125.

الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لكنها لم تعش طويلاً[1] نتيجة السياسة التي انتهجتها سلطات الحماية لقلب المعادلة الوطنية الجديدة[2].

ففي أوت 1951م قامت الحكومة الفرنسية باستبدال الجنرال جوان بالجنرال فيوم وهو استعماري متجبّر أكثر من سلفه ، وفي هذه الأثناء أخذت فرنسا تضغط على محمد الخامس لقبول الإصلاحات التي أرادتها في إطار الحماية ، وحين رفض الإنصياع لذلك عمّدت إلى خلعه ونصبت مكانه مولاي محمد بن عرفة إبن عمّه ، وكان ذلك يوم 20 أوت 1953م ثم نفي إلى جزيرة كورسيكا بالبحر المتوسط ، وعندئذ اتجه الوطنيون إلى إحكام تدابير الثورة المسلحة ، ففي عام 1954م بدأت الاغتيالات في صفوف الخونة كما تمّ إنشاء جيش التحرير المغربي ، أما في النصف الثاني من عام 1955م ، سمحت فرنسا لمحمد الخامس بالرجوع إلى عرشه في نوفمبر 1955م ، وفي العام الثاني 1956م أجريت المفاوضات حول الاستقلال في مدينة إكسليبان ، قرب الحدود الإيطالية حيث تم التوقيع على وثيقة الاستقلال وذلك يوم 2 مارس 1956م ، وفي أفريل 1956م تم التوقيع في مدريد بحضور محمد الخامس على إزالة الحماية عن منطقة الريف (إنهاء الحماية الإسبانية) ، كما انضمّ المغرب إلى الأمم المتحدة في نوفمبر 1956م وإلى جامعة الدول العربية في أكتوبر 1958م[3].

3. العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م :

لقد تأكدت فرنسا أن القوة الحقيقية وراء نجاح الثورة الجزائرية هي الدعم الذي تقدمه مصر للثوار في الجزائر ، وكان هذا بداية مرحلة من العداء بين فرنسا ومصر التي وصلت إلى حد الصدام المسلح لأن فرنسا قد خسرت الهند الصينية بعد أن منيت بهزيمة عسكرية في "ديان بيان فو" عام 1954م ، ولم تكن على استعداد لأن تخسر الجزائر أو تصاب بهزيمة

[1] **محمد ضريف** ، الأحزاب السياسية المغربية ، (الدار البيضاء-المغرب : إفريقيا الشرق ، د.ت) ، ص 78.
[2] **محمد ضريف** ، المرجع السابق، ص 78.
[3] **محمد الدرعي** ، المرجع السابق ، ص ص 126 ، 127.

عسكرية أخرى بالإضافة إلى حرصها أن لا تفقد هيبتها في إفريقيا كما فقدتها في آسيا[1].

وبحصول تونس والمغرب على استقلالهما زادت أهمية الجزائر بالنسبة لفرنسا ، وكان هذا يعني ضرورة تصفية الثورة الوطنية بها، وهكذا تحول الغضب الذي يجري في نفوس الدوائر السياسية الفرنسية إلى إيمان واضح بأن القضاء على ثورة الجزائر يستدعي أولا الإحاطة بجمال عبد الناصر ، الذي كان في نظرهم القوة الحقيقية لبقاء الجزائريين يناضلون في كفاحهم ...

وحاولت فرنسا أن تصل إلى اتفاق مع مصر يقضي بأن تكف أيديها عن تموين الثورة الجزائرية بالسلاح والمال مقابل أن تواصل سياستها في عدم الاعتراف بحلف بغداد[2].

إن ما أصبح يعرف بالعدوان الثلاثي على مصر قامت به عدة أطراف لها خلفيات وأهداف ومصالح متباينة، غير أن القاسم المشترك بينها هو اتفاقها على أن التوجهات التي بدأ يأخذها نظام عبد الناصر في هذه الفترة أصبح يمثل تهديدًا لنفوذهم ومصالحهم داخل مصر ، بالإضافة إلى خوفهم من انتقالهم العدوى إلى المناطق الأخرى من الوطن العربي، ومن هذا المنطلق اتفقت كل من فرنسا وبريطانيا ودويلة الصهاينة على الإطاحة بنظام عبد الناصر ، عبر العدوان الذي كانت بدايته في 29 أكتوبر 1956م . متخذين من مسألة تأميم قناة السويس ذريعة للعدوان ليتسنى لكل منهم تحقيق أهدافه التي كانت تختلف من طرف لآخر ويمكن أن نتعرض عليها باختصار على النحو التالي:

- إسرائيل كانت ترى أن مصر هي عدوها الرئيسي في المنطقة والذي يحول بينها وبين تحقيق أهدافها، وخاصة أن مصر حققت في هذه الفترة أمرين كانت إسرائيل تعتبرها تهديدا لأمنها وهما:

1- انسحاب بريطانيا من قاعدة قناة السويس.

2- امتلاك مصر لأسلحة متطورة بعد عقد أول اتفاقية تسلح مع المجموعة الاشتراكية.

- أما بريطانيا:

فقد كانت تساورها عدة هواجس لأول اتفاقية و مخاوف من بعض المواقف المصرية في هذه الفترة وخاصة ما يتعلق بالقضايا التالية:[1]

---

1 **شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق** ، المرجع السابق ، ص 113.

2 **أمين هويدي** ، حروب عبد الناصر، (بيروت: دار الطليعة، د.ت)، ص53.

1- معركة الجلاء التي خاضتها مصر.
2- معركة كسر احتكار التسلح من الغرب.
3- معركة حلف بغداد.
4- تأميم قناة السويس.

بالإضافة إلى أن بريطانيا بدأت تخشى أن تسري عدوى التحرر إلى المناطق العربية التي تقع في دائرة نفوذها مثل: العراق ومنطقة الخليج العربي والجزيرة العربية ، ومن هذا المنظور فإن البريطانيين كانوا يرون أن القضاء على نظام عبد الناصر لا يعيد لهم اعتبارهم ونفوذهم في مصر فقط بل إنه يحمي وجودهم في مناطق أخرى من الخطر ، ويحفظ لهم هيبتهم حتى لا تحل الولايات المتحدة الأمريكية محلهم لملأ الفراغ في المنطقة وهذا يندرج في إطار الصراع بين الدول الاستعمارية عند تضارب مصالحها.

وبهذا الخصوص يقول «انطوني إيدن» رئيس الوزراء البريطاني في أحد خطاباته السرية إلى «إيزنهاور» بتاريخ01 أكتوبر1956م ما يلي:

«إذا لم تستطيع إسقاط عبد الناصر وتحطيمه ، فلسوف ينتهي مركز بريطانيا الخاص في المنطقة وتصبح قواعدها كلها تحت رحمة الغوغاء، ويختفي أصدقاؤها واحدًا تلوى الأخرى ، ثم يمتد اللهب العربي كذا إلى موارد البترول ذاتها، وحينئذ تنتهي بريطانيا ويتحطم التحالف الغربي العظيم من أساسه » [2].

أمّا بخصوص فرنسا التي يهمّها أن تعرف دورها في هذا العدوان الإستعماري على مصر فإنها كانت ترى فيه فرصتها الذهبية لأن إشتراكها مع كل من دولة الصهاينة وبريطانيا في هذا العدوان سيسهل لها ما كان يصعب عليها تحقيقه بصورة منفردة ، ومن هذا المنظور فقد بذلت فرنسا مساعي حقيقية وجهودا كبيرة عبر وزير خارجيتها السيد «كريستيان بينو» أدت إلى التوفيق بين جهات النظر المتعارضة بين إسرائيل وبريطانيا حول

---

1 **محمد أنيس و السيد رجب حراز**، ثورة 23 يوليو1952 وأصولها التاريخية ، (د.م ، دار النهضة العربية، 1969م)، ص290.
2 **محمد أنيس و السيد رجب حراز**، المصدر السابق، ص290.

المسائل الإجرائية لتنفيذ العدوان الذي يحقق لها عدة أهداف في الوقت ذاته، منها مصالحها في قناة السويس ، وفي مصر عموما والقضاء على النظام السياسي في مصر لعدم قابليته التفاهم مع الفرنسيين ، وهذا ما أوضحه وزير الخارجية الفرنسي في لقائه مع نظيره البريطاني[1] في بداية عام1956م بقوله:

«إن فرنسا مصممة على إسقاط النظام الحالي في مصر لأنه غير قابل للتفاهم ، وإننا ندرس خطة تستطيع إسرائيل بمقتضاها أن تهاجم مصر وتغزوها ،إن الإسرائيليون لديهم هذا الاستعداد وهم يرون مصر تستسلم و لا يمكن أن يقبلوا الإنتظار حتى تتم مصر إستعدادها وتنقض عليهم».

كما عرضت عليها تقديم قروض إقتصادية من أجل تنفيذ مشروعات كبيرة في مصر،هي أشد الحاجة إليها بشرط وقف المساعدات على الثورة الجزائرية ، لكن جمال عبد الناصر رفض هذه العروض كما رفض أي حوار حول موقفه من الثورة الجزائرية أو تحقق أية فوائد ذاتية لمصر على حساب الثورة الجزائرية أو على حساب أي نضال عربي، وأخذت فرنسا تبحث عن مبرر لضرب عبد الناصر ولتقضي على الحليف[2] الرئيسي ممول الثوار الجزائريين وحاولت التقرب من إسرائيل وبريطانيا للتعاون من أجل ضرب مصر.

فكان العدوان على مصر الذي لم يكن دافعه الأساسي تأميم قناة السويس بل كانت له دوافع خفية تخدم مصالح الدول المشاركة في العدوان فبريطانيا وفرنسا وإسرائيل اتفقت على أمر واحد هو القيام بالعدوان على مصر من أجل القضاء على النظام القائم ، والذي كان يهدد مصالحها ولكن رغم هذا فقد تعددت واختلفت دوافع كل بلد لتنفيذ هذا العرض[3].

و بهذا كانت فرنسا ترى بضرورة الإطاحة بجمال عبد الناصر، و قد قال الجنرال "شال" القائد العام الفرنسي في الجزائر في هذا الشأن:

«ما نواجه في الجزائر هو ذنب الأفعى، وأما رأسها فكان في القاهرة »

وبهذا أصبحت قناعة الفرنسيين كاملة بإستراتيجية جديدة، وهي الجزائر عن طريق القاهرة وإن الإطاحة بجمال عبد الناصر هي المفتاح الحقيقي لبقاء الجزائر فرنسية[4].

تطور العدوان ومراحله :

1 **محمد أنيس و السيد رجب حراز**، المصدر السابق، ص290.
2 **شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق** ، المرجع السابق، ص201.
3 **شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق** ، المرجع السابق، ص201.
4 - **تشلدز ارسكين** ، الطريق إلى السويس، تعريب: خيرى حماد، (د.م ،الدار القومية للطباعة والنشر د.ت) ، ص 54.

جاء قرار مصر بتأميم قناة السويس في 26يوليو1956م بمثابة السهم الخارق للغرب، وخاصة بريطانيا وفرنسا فتزعزعت سياستها لهذا الإجراء وعزما على بذل الجهود لإلغاء هذا التأميم وذلك بعقد مؤتمر لندن في[1] 16أغسطس1956م ،والذي حضره ممثلي 22 دولة وقد تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بمشروعها الذي يتضمن إنشاء إدارة دولية [2].

لكن الحكومة المصرية أعلنت رفضها للمؤتمر، و اعتبرته تدخّلاً في شؤونها الداخلية ، وأصرّت مصر على عدم الاستسلام للتهديدات الأجنبية ، وقال جمال عبد الناصر:

"سنحارب حرباً نظامية ، سنحارب حربا شاملة، سنحارب حرب العصابات، ومن يتعدى على مصر سيدرك أنّه جلب على نفسه مصيبة لن يتحملها مطلقاً ، وسنعطي للعالم مثلاً كيف تستطيع دولة صغيرة أن تحمي نفسها أمام دولة عظمى تهدّدها بالقوة والسلاح[3]".

أمام هذا الفشل للقاء لندن نقلت الأزمة إلى هيئة الأمم المتحدة ، وذلك من أجل التوصل إلى تسوية سليمة ، فتم التوصل إلى اتفاق يقوم على بعض المبادئ، كما أضافت كل من فرنسا وبريطانيا بعض المقترحات والتي رفضت من قبل مصر، واعتراض الإتحاد السوفياتي على ذلك باستخدامه حق الفيتو، وفي ظل الأحداث وبقاء المسألة على حالها، كانت الحكومات الفرنسية والبريطانية ومعها إسرائيل على موعد آخر مع الحرب[4] ، وكان التخطيط من خلال معاهدة سيفر[5] السرية في 22 أكتوبر1956م، والتي وضعت فيها خطط العدوان وقد انتهت بما يسمّونه بروتوكول سيفر، ويمكن تقسيم هذا العدوان إلى ثلاث مراحل:

المرحلة1: 29-31اكتوبر 1956م.

المرحلة2: 31 أكتوبر- 04 نوفمبر1956م.

المرحلة3: 04-07 نوفمبر 1956م.

---

1 حسن البدري و أحمد فريد ، حرب التواطؤ الثلاثي الصهيوني الانجلو فرنسي على مصر خريف1956م، (القاهرة – مصر : المكتبة الأكاديمية،1997م) ،ص19.

2 حسن البدري و أحمد فريد ، المرجع السابق ، ص19.

3 نجلاء أبو عز الدين، المرجع السابق ، ص270.

4 نجلاء أبو عز الدين، نفسه، ص279، 280.

5 معاهدة سيفر السرية: كانت في 23 أكتوبر 1956م بين بريطانياو فرنسا وإسرائيل، وقد نصت على ما يلي: تبدأ إسرائيل العمليات العسكرية ضد مصر، توجه مصر وبريطانيا إنذار لكل من مصر وإسرائيل تطلبان إنسحاب كل منهما عن منطقة القناة ،يبدأ بضرب المطارات المصرية فور إنتهاء مدة الإنذار .
للمزيد عد إلى : **نجلاء أبو عز الدين** ، نفسه ، ص 280.

المرحلة الأولى : 29-31اكتوبر 1956م.

في هذه المرحلة كانت المبادرة من إسرائيل، حيث بدأ الهجوم على الأراضي المصرية على الساعة الخامسة مساءاً يوم 29 أكتوبر 1956م. وبدأ هذا بإسقاط كتيبة المظلات فوق الممر الشرقي مثلت لخلق الذريعة بالتدخل الأنجلوفرنسي على نحو ما إتفق عليه في معاهدة سيفر[1].

وفي يوم 30 أكتوبر إكتسح الجيش الإسرائيلي الحدود المصرية عند الغسق، ووصل هذا الجيش إلى ملتقى الطرق عند نخل الواقعة على بعد 50ميل إلى الغرب من الحدود ، وفي وسط صحراء سيناء من مساء ذلك اليوم سقطت القسيمة وهي أحد قواعد الفدائيين ،أما الكانتلا فقط سقطت إبان الهجوم الأول.

وفي 31 أكتوبر هوجمت قرية أبو عجيلة ،وهنا قاتل المصريون بشدة ولم تسقط إلاّ في 22 نوفمبر ، ثم تقدم الإسرائيليون، وعزلوا قطاع غزة عن القوات المصرية وفي هذه الأثناء قالت جريدة التايمز: "يبدوا أن الإسرائيليين قد حققوا أهدافهم في شمال سيناء[2]" .

و بالرغم من كل هذا استطاعت القوات المصرية حصر العدوان في سيناء، و هنا انتهت المرحلة الأولى من العدوان .

المرحلة الثانية: 31 أكتوبر-04 نوفمبر1956:

في هذه المرحلة تدخلت فرنسا وبريطانيا، حيث وجهت الدولتان في مساء30 أكتوبر إنذارا إلى مصر وإسرائيل ينص على ضرورة إبتعادهما10 أميال إلى الشرق من قناة السويس، لكي تنزل القوات البريطانية الفرنسية احتلال بور سعيد والإسماعيلية والسويس ، حتى تحول دون أن تصبح القناة نفسها ميداناً للمعركة...

فقبلت إسرائيل الإنذار البريطاني الفرنسي في حين رفضته مصر ، وبدأت تساورها الشكوك في أن الصورة التي تم بها الهجوم الإسرائيلي دون خوف من قوات الجيش المصري والاندفاع الذي ميز هذا الهجوم ، والحماية الجوية الغير طبيعية التي صاحبته، وعدم إيقاف كبرى الفردان- القوات الإسرائيلية- للجيوش المصرية المتوجهة إلى سيناء...

و أمام هذا الوضع تفطنت مصر للكمين المنصوب لها، والذي يتمثل في سحب القوات الإسرائيلية للجيش المصري إلى سيناء ، وتصبح منطقة القناة خالية من الدفاع الرئيسي، وبالتالي تتمكن القوات البريطانية الفرنسية من النزول في بور سعيد دون عوائق ، ولهذا وفي الساعة الثامنة مساءا أصدر الرئيس عبد الناصر قرار ينص على

---

1 **حسن البدري** ، المرجع السابق، ص28.

2 **ميكال فوت و ميرفين حوفر**، مجرمو عام 1957م، (ط1؛ بيروت –لبنان : دار المعارف للملايين ، 1957م) ، ص ص9-33.

الانسحاب الفوري من سيناء، وأن تتجمع كل القوات المصرية التي عبرت القناة إلى سيناء بالعودة ، في حين طلب من القوات المصرية المتواجدة في رفح والعريش وأبو عجيلة و شرم الشيخ بالدخول في المعركة ، ووقف الزحف الإسرائيلي حتى يتم انسحاب القوات الرئيسية للجيش المصري[1].

وفي هذا الشأن ألقى جمال عبد الناصر خطابه في 02 نوفمبر1956م وّضح من خلاله تطورات الحرب والمؤامرة التي أحبكت ضد مصر حاثّاً شعبه بالصمود في وجه العدو، كما أمر بإرسال قاذفات القنابل المصرية إلى الصعيد والسعودية، وقام بقطع علاقاته الدبلوماسية مع فرنسا وبريطانيا، و استولى على ممتلكاتهم بمصر، كما قام بوضع خطط خاصة بحرب العصابات وجعلها موضع التنفيذ وأسند إلى "زكريا محي الدين" مسؤولية قيادة القناة ، بينما تولى "كمال الدين حسين " قيادة الفدائيين في منطقة القناة، و وزعت الأسلحة على المتطوعين في المقاومة الشعبية ، و أصدر قرار تعطيل الملاحة في القناة لوضع العالم أمام واقع جديد [2].

و بهذه القرارات فشلت خطة المورسكتير المعدلة، وتفوق الشعب المصري لتبدأ المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة 04-07 نوفمبر 1956م:

بعد رفض جمال عبد الناصر للإنذار الأنجلو فرنسي الموجه في 30 أكتوبر، وصمود الشعب المصري بدأ التمهيد الجوي لعملية الغزو الأنجلو فرنسي، وبدأت بقصف المطارات المصرية، والثكنات ، وكل الأماكن التي تظن أن العتاد المصري مخبأ فيها ، وفي 04 نوفمبر قصفت القاهرة ، ومنطقة الأهرام والجيزة وكذلك مطار وثكنات الإسكندرية وبناية التلغراف الموجودة في قلب المدينة ، والتي تعرضت هي الأخرى إلى عمليات القصف الشديد، وقد ألقت الطائرات الأنجلو فرنسية حوالي مليون منشور فوق القاهرة، تحذر من خلالها سكان القاهرة بالاستسلام وإلا تعرضت إلى عملية انتقامية [3].

1 **صلاح بسيوني** ، المرجع السابق ، ص205 ، 206.

2 **حسن البدري وفطين أحمد فريد** ، المرجع السابق، ص 61، 62.

3 **صلاح بسيوني**، المرجع السابق، ص 208.

ثم جاء دور بورسعيد التي تعرضت لغارات جوية متلاحقة، وأيضا بدأ إسقاط جنود المظلات البريطانية الفرنسية طوال 05 نوفمبر، وفي 06 نوفمبر بدأت عملية إنزال القوات على الساحل في بور فؤاد وبقيت المقاومة مستمرة[1].

وفي هذه الأثناء كان الجنرال كيتلي القائد العام للقوات الفرنسية الإنجليزية يحاول احتلال مدينة الإسماعيلية والسويس من 08 إلى 12 نوفمبر، لكن هذه الحملة أوقفت وأجبرت المعتدين على التراجع، وذلك بازدياد نقمة الرأي العام على حكومة لندن وباريس.

وفي الأخير نستطيع أن نقول أن إرادة الشعب المصري بقيادة جمال عبد الناصر الذي استطاع جلب النصر لمصر ، كما يمكننا القول أن مشاركة فرنسا في العدوان على مصر كانت أهدافها واضحة ضانة خطأ أنه بالقضاء على مصر يمكن القضاء على الثورة الجزائرية ، وأن الانتصارات التي يحققها الثوار الجزائريون يوماً بعد يوم أوامره قادمة من الشرق ، وبالضبط من جمال عبد الناصر ، وهذا ما صرحت به السلطات الفرنسية:

« بأن الشر قادم من الشرق أي مصر» ، وأن القادة الثوار يتلقون أوامرهم من القاهرة ، كان هذا العدوان منعرجاً هاماً في تاريخ مصر، استطاعت من خلاله كسب المعركة سياسياً، وذلك لوقوف الرأي العالمي في صفها ، وتمكنت مصر من خلال هذا العدوان تلقين كل من فرنسا وبريطانيا درسًا هامًا لن تنساه أبداً، وتجسد ذلك في انتصار دولة صغيرة لا حول لها ولا قوة على دول كبرى تمتلك سلاحا فتّاكاً وجيشاً[2] قوياً ، كما أكد هذا الحدث مدى الفشل والخيبة التي تلقتها الدول المعتدية، خصوصا أنها قامت بهذا العمل وراء ظهر حليفتها الولايات المتحدة الأمريكية...

كما أن فرنسا وبريطانيا لم تحقق أهدافها المرجوة من هذا العدوان،بل تقهقر كل ما تبقى لهما من نفوذ في المشرق العربي ، وتجلى ذلك مثلا في الثورة العربية، وفرنسا أيضا كان لها نفس المصير وانتصار جمال عبد الناصر زاده عزما في دعم الحركات التحررية في الوطن العربي.

و يعتبر عدوان 1956م مواجهة بين العرب والغرب تمكنت من خلاله الشعوب العربية الوقوف ضد الغرب ، مؤيدة شقيقتها مصر، كما أحسنت الدولة العربية الظرف وذلك باستعمال ولأول مرة في التاريخ البترول كسلاح ضد الدول الغربية ، فكان هذا العدوان منبّهاً خطيراً واضحاً للدول العربية كي تتخذ كل الإجراءات الكافية وتتكاثف فيما بينها لصد هذه السياسة أو التحالفات الغربية الصهيونية الهادفة إلى إضعاف الدولة العربية ...

---

1 جورج قوشية ، جمال ع الناصر في طريق الوحدة والبناء ، تر:نجدة هاجر، (ط1؛ بيروت: د.د، 1961م) ، ص207.

2 جورج قوشية ، المرجع السابق ، ص ص207 ، 208.

و بهـذا يمكننـا تصـنيف هـذا الحـدث ووضـعه فـي سـجل تجـارب الشـعوب والأمـم ذوات الضمائر الحية التي تقاوم من أجل صيانة حقوقها الشرعية والمحافظة عليها[1].

[1] **جورج قوشية** ، المرجع السابق ، ص 208.